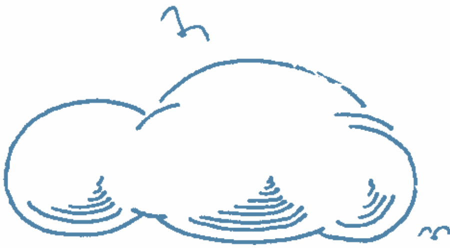




السجين الحالم

إسحق إسكندر

سلسلة
ملء الجباب
٩

العدد التاسع
يناير ١٩٩٦

السجين الحالم

إسحق إسكندر

سلسلة ملء الجباب

صدر منها:

- ملء الجباب
- تكفيك نعمتى
- لماذا أنا بالذات؟
- كرسى المسيح
- حبيب الرب
- أرى الدم
- ثلاثة أبكار
- أربع معارك
- على الشجوية
- ظل الموت
- روشتة للألم
- الحية النحاسية
- لنا شفيع
- كاهن عظيم ١
- Upon Shiggaion
- The Shadow of Death
- The Brass Serpent

تحت الطبع:

- «ميمى بك»
- «رومية ٧»
- «مجاهد فى الجبانة»
- سر الله
- كاهن عظيم ٢
- رقص صفين
- ملاكى أورشليم
- الجيب المسحور
- ٣ / صفر
- دهشان والنوران
- شعر النذير
- وموضوعات أخرى

رقم الإيداع بدار الكتب
١٠٨٢٨ / ٩٥

فهــرس

مقدمة

كان المفترض أن يحتوى هذا العدد على هذه القصة: «السجين الحالم»، بالإضافة إلى قصة «ميمى بك» وصراع «رومية ٧» وقصة «مجاهد فى الجبانة»، لا سيما وأنها موضوعات مترابطة تعالج قضية التبرير الحسابى والعيشة بالبر العملى والانتصار على الخطية والوصول بالحالة العملية إلى مستوى المركز الشرعى.

لكن لكثرة عدد صفحات العدد، عندئذ كان سيتكلف جهداً كبيراً من الكاتب فى إصداره، وجهداً آخر من القارئ فى قراءته.

عندئذ استمعت إلى مشورة ابنى ـ مع بعض شباب الكنيسة الذين ساهموا فى مراجعة الشواهد ـ بأن أصدره فى ثلاثة أجزاء، رغم إعداده جميعه للطبع، وبمجرد توزيع هذا العدد وجمع جزء من تكلفته ـ حيث أن معظمه يوزع مجاناً ـ سيتم إصدار الجزئين التاليين بمشيئة الرب وبصلوات القراء ومؤازرتهم.

السجين الحالم

التبرئة.. والغفران.. والتبرير.. ثلاث كلمات تختلط معانيها عند كثير من المسيحيين.. فيعتبرها البعض مترادفات تحمل معنى واحداً.. ويعتبرها آخرون كلمات تنصرف إلى إجراءات يتخذها الله فى مواجهة الخطية لعلاج آثارها على الإنسان.. إلخ.. لكن الأمر جدُّ مختلف.. فكل كلمة لها مدلولها المختلف عن الأخرى.. عدا أن كلمة واحدة منها هى التى لها فقط علاقة بعلاج آثار الخطية؛ وهى الغفران.

فالتبرئة.. هى صدور حكم بالبراءة.. ولأن «الحكم هو عنوان الحقيقة».. فصدوره بالبراءة يحمل معنى أن المتهم غير مذنب.. أى لم يقترف أى ذنب.

وخلال فترة الاتهام، فإن المتهم برئٌ حتى صدور الحكم.. لكن براءته فى هذه الحالة براءة مؤقتة.. أما التبرئة النهائية فهى معلَّقة بصدور الحكم.. فإن صدر الحكم بالبراءة.. انتهت فترة البراءة الموقوتة، وعاد المتهم إلى سابق عهده.. عهد البراءة النهائية باعتبار أن شيئاً لم يكن.. لذلك فالتبرئة لا تغفر خطية، ولا تعالج ذنباً.. لكنها تقرر أمراً واقعاً، هو عدم فعل الخطية.. وتثبت حالة واحدة، هى حالة عدم المذنوبية.

أما وقد أخطأ الإنسان فى حق الله.. وثبتت مذنوبيته ـ بطرق الإثبات الإلهية لا البشرية ـ فلا أحد يمكن أنِ يبرئه.. وإن برأه الناس فلن يبرئه الله.. ذلك لأن شراً فعلياً قد صدر عنه.. وإثماً مثبتاً قد اقترف منه.. وذنباً قائماً قد احتسب عليه..

فلا يمكن بالتالى أن يحصل على حكم بأى براءة قانونية نهائية، باعتبار أن فعلاً من الإثم لم يحدث.. أو شيئاً من الذنب لم يكن.

وحتى البراءة المؤقتة ليس لها مجال هنا، ذلك لأن حكماً قد صدر ضد الإنسان بالموت، وانتهى الأمر.. لأنه «بالخطية الموت وهكذا اجتاز الموت إلى جميع الناس إذ أخطأ الجميع» (رو ٥ : ١٢).. وقد «وضع للناس أن يموتوا مرة ثم بعد ذلك الدينونة» (عب ٩ : ٢٧).. بما يعنى انتفاء البراءة المؤقتة.. فلا براءة نهائية.. ولا براءة مؤقتة.

ولأن خطية الإنسان كانت كسراً لوصية عدم الأكل من شجرة معرفة الخير والشر (تك ٢ : ١٧، ٣ : ٦).. لذلك فإن نتيجتها العملية لم تكن فقط خروجه من دائرة البراءة القانونية بسبب كسره للوصية.. بل كانت خروجه أيضاً من دائرة البراءة الفعلية بسبب معرفته للخير والشر نتيجة لأكله من هذه الشجرة.. وليس من سبيل لعودته إلى حالة البراءة الفعلية الأولى.

فلا براءة قانونية.. ولا براءة فعلية.. لا براءة نهائية.. ولا براءة مؤقته.. **ولا تبرئة من أى نوع للإنسان** فى الكتاب المقدس.

لكن هناك أمرين آخرين فى الكتاب المقدس هما: **الغفران.. والتبرير**.

ولكى نفهم الفرق بينهما نأتى إلى القصة التالية:

أولاً: الغفــــران

لا يعرف «محسوب» كيف أصبح قاتلاً.. لقد وُجد وسط مشاجرة حدثت فى زقاقهم.. فإذ به طرفاً فيها.. وبينما كان يصيح ويسب وجد نفسه فى النهاية يضرب شخصاً فيزهق روحه.

وهـو فى هـذا يشـبه الإنسـان بصفة عامة.. «فالحنجـرة قـبر مفتـوح» (رو ٣ : ١٣) بالسـباب وغير السباب.. «والأرجـل سـريعة إلى سـفك الـدم» (رو ٣ : ١٥) بالضرب وبغير الضرب.

لكنه لا يشبه أحداً ـ إلا قليلاً ـ فى شخصيته الخيالية.. فهو يهيم أحياناً فى عوالم يصنعها خياله.. ويبعد عن الواقع فى أحيان أخرى فيأتى من الأفعال ما يخرج عن دائرة العقل والمنطق.. وربما انفعل أيضاً فخرج عن دائرة القانون.. ولعل هذا كان أحد أسباب تهوره وارتكابه للجريمة.. بينما يرتكب آخرون الجريمة لأسباب أو دوافع أخرى.. الجريمة واحدة والأساليب مختلفة.

هكذا البشر مذنوبيتهم أمام الله واحدة.. وإن اختلفت الطرق المؤدية إليها.. لأنه «**كلنا** كغنم ضللنا (الضلال واحد). ملنا **كل واحد** إلى طريقه (الأسلوب مختلف)» (إش ٥٣ : ٦).. فكلنا ضللنا.. لكن لكل واحد طريقه فى الضلال.

أُدين «محسوب» وحكم عليه بالسجن.. ونفذ الحكم.. وبينما كان يقضى فترة العقوبة فى سجن قرة ميدان، خطب الوالى عروساً لابنه.. وأراد بهذه المناسبة أن يقدم لرعيته هدية، فأمر بالإفراج عن بعض المساجين، كعادة قدامى الولاة والملوك(*).

تصيب القرعة «محسوب» فيأتيه فى الفجر سجان العنبر ليبلغه بالبشرى: أن مبروك يا «محسوب» أخذت قراراً بالعفو الخديوى السامى.. يهتز «محسوب» من المفاجأة.. ويهم بالجرى فيصطدم بالحراس.. يود لو يصيح فينعقد لسانه.

فى معية الحراس يهرول فى فناء السجن.. وفى غيبة عنهم يهيم فى ساحة الخيال.. الشاويش ينادى: «١٠٥».. الحراس المرافقين يهمسون: أجب يا «محسوب» إنه يناديك.. يزعق الشاويش: السجين رقم «١٠٥».. فيزوم «محسوب»: أفندم.. يرد الشاويش: هيا إلى القره قول لاستكمال إجراءات الإفراج.. ويناوله جلباباً من الزفير المقلم.. ويصرخ فى وجهه: سلم عهدتك الميرى.. يخلع «محسوب» فانلة السجن رقم «١٠٥» وتوابعها.. يخبُّ فى الجلباب الأميرى المتسع ويمضى تحت الحراسة إلى القره قول.. على بابه يجد نفراً من أهله فى انتظاره.. تتم الإجراءات فيأخذونه بالأحضان.. وفى فرحة غامرة يحاوطونه فى الطريق إلى المنزل.. الطريق ملىء بالزينات.. الفرق الموسيقية اتخذت أماكنها

(*) (مت ٢٧ : ١٥).

فى الساحات.. والسامر منصوب فى أماكن شتى.. وابورات الحليج تطلق صفاراتها.. والطوائف من أصحاب الألعاب تبدى «ملاعيبها».. يتساءل فيردون عليه.. لسنا وحدنا الفرحين يا «محسوب».. البلاد كلها فى عيد.. فالوالى سيزف ابنه إلى عروسه.. والاحتفالات فى السراى ستستمر «أربعين ليلة وأربعين نهاراً».. يحييها شيخ المغنين بالأغنية الجديدة «عشنا وشفنا.. والخير على قدوم الواردين».. وأى خير لنا أفضل من قدومك إلينا مع الواردين من سجن مديد.

وهذا يأتى بنا إلى الأمر الأول وهو: **الغفـران**.. ما هو الغفـران؟.. إنه العفـو الإلهى عن كل ما بدر منا من خطايا، وما صدر عنا من آثام.. وهو ليس تبرئة بأى حال.. ذلك لكوننـا مذنبين فعلاً.. لكنه عدم احتسـاب لهذا الذنب (مز ٣٢ : ٢، رو ٤ : ٨)، ونسيان لكل ما صدر منا.. وهذا الغفران لم يكن ليحدث إلا لأن المسيح قد مات عنا فوق الصليب محتملاً كل خطايانا «فالرب وضع عليه إثم جميعنا» (إش ٥٣ : ٦).. وبإقرار المسيح بما وضع عليه من خطايا كأنه فاعلها الأصلى (مز ٦٩ : ٥، مز ٤٠ : ١٢)، وقعت عليه دينونتها.. وهى دينونة لم تقلّ بحال عن النار الأبدية التى سيكابدها الأشرار إلى أبد الآبدين.. وقد احتملها المسيح فى ساعات معدودة فوق الصليب، مع أنها دينونة غير محدودة.. ذلك لأنه غير المحدود.. وبعدما سدد أجرتها عذاباً واصطلاء بنار العدالة الإلهـية (مز ٢٢ : ١، ١٤، زك ١٣ : ٧، تك ٣ : ٢٤)(*)، قال «قد أكمـل» (يو ١٩ : ٣٠).. أى أكمل إيفاء مطاليب الله من جهة الخطية وسوى حسابها كاملاً(**).. «ثم نكس رأسه وأسلم الروح» (يو ١٩ : ٣٠).

وبنزوله إلى القبر، نزل **قدوساً**.. فلم تكن عليه لا خطية واحدة من خطايانا، إذ قد أنهاها قبل أن يسلم الروح.. ولا خطية ـ بالطبع ـ تخصه هو، لأنه فى تجسده كان القدوس الذى «ليس فيه خطية» (١يو ٣ : ٥).

وبالتالى قام من القبر تطبيقاً للنبوة «لأنه لن تدع **قدوسك** يرى فساداً. تعرفنى

(*) التفاصيل فى العدد الخامس من هذه السلسلة بعنوان «أرى الدم».
(**) عدا إكماله لأشياء أخرى أيضاً.

سبيل الحياة» (مز ١٦ : ١٠، أع ٢ : ٢٧).. لأنه لو كانت خطية واحدة من خطايانا قد بقيت عليه ولم يسدد حسابها ونزل بها إلى القبر.. لأمسكته في القبر دون قيامة، ولما كان قد قام.. أما وقد نزل إلى القبر **قدوساً**.. فقد «أقامه الله ناقضاً أوجاع الموت إذ لم يكن ممكناً أن يمسك منه» (أع ٢ : ٢٤).

لذلك فقيامة المسيح(*) هي أكبر برهان وأقوى دليل على انتهاء مسألة خطايانا، وبالتالي غيابها من أمام وجه الله إلى الأبد.. وفي هذا يقول الكتاب: «يعود يرحمنا يدوس آثامنا وتطرح في أعماق البحر جميع خطاياهم» (مى ٧ : ١٩).

ولأن الأقمار الصناعية تستطيع الآن أن تكتشف ما في أعماق البحار وما في باطن الأرض - حتى أن أحد هذه الأقمار أو المحطات الفضائية قد رصدت نهراً مردوماً موازياً لنهر النيل في الصحراء الغربية لمصر، وصورت الهياكل العظمية لتماسيح قابعة تحت الرمال ماتت ودفنت من آلاف السنين - لذلك فمن الأولى لعين الله أن ترى الخطية بعدما طرحت في البحر.. «لأني أين أذهب من روحك ومن وجهك أين أهرب. إن صعدت إلى السماوات فأنت هناك وإن فرشت في الهاوية (تحت الأرض والبحار) فها أنت» (مز ١٣٩ : ٨).

لذلك فمسألة طرح خطايانا في أعماق البحر فقط - مع كونها تشبيهاً - لا تتناسب مع عظمة عمل المسيح فوق الصليب، لأنها تنطوي على فكرة أن تعود خطايانا للظهور ثانية .. ولو بعد آلاف السنين بطريقة أو بأخرى.. وأن يقف التشبيه عند هذا الحد يكون تشبيهاً أعرجاً.

أما وقد قطع الكتاب في هذه القضية بالقول «والبحر لا يوجد فيما بعد» (رؤ ٢١ : ١)(**)، فقد حسم المسألة تماماً: تشبيهاً دقيقاً، وحقيقة جلية.. وراح

(*) كما أنها أيضاً أساس تبريرنا «الذى أسلم من أجل خطايانا وأقيم لأجل تبريرنا» (رو ٥ : ٢٥) كما سنرى.

(**) ليس البحر فقط هو ما لن يوجد فيما بعد.. بل إن «السماء الأولى والأرض الأولى (بما فيها من بحار) ستمضيان» (رؤ ٢١ : ١) .. (وبما ارتبط بها من تاريخ وذكريات) «لن تذكرا ولن تخطرا على بال» (إش ٦٥ : ١٧) .. فوداعاً للأرض، وتاريخ الإنسان فوقها، وتعبه فيها، فالكل باطل (جا ٢ : ١١) .. أما التعب في الرب فليس باطلاً (١ كو ١٥ : ٥٨).

البحر بخطايانا إلى العدم المندثر.. وتحولت الخطايا إلى بخار دفعه الهواء.. وهباء ذرّته الرياح.. مما جعل الرب يقول فى تشبيه آخر «قد محوت كغيم ذنوبك وكسحابة خطاياك» (إش ٤٤ : ٢٢).

«وتيس عزازيل» يحدثنا رمزيا عن هذا الأمر.. فقد كان هرون رئيس الكهنة قديماً - نيابة عن الشعب - «يضع يديه على رأس (هذا) التيس الحى ويقرُّ عليه بكل ذنوب بنى إسرائيل وسيئاتهم مع كل خطاياهم ويجعلها على رأس التيس الحى ويرسله بيد من يلاقيه إلى البرية. ليحمل التيس عليه ذنوبهم إلى أرض مقفرة فيطلق التيس فى البرية» (لا ١٦ : ٢١، ٢٢).. إلى أين؟.. إلى الضياع والعدم. وهذا معنى اسمه، تيس عزازيل أى تيس الرحيل والمفارقة.. فيما يشير إلى رحيل خطايانا عنا، ومفارقتها إيانا.

هذا هو الغفران.. وهو يماثِل العفو الذى يؤدى **فقط** إلى الإفراج عن سجين «كمحسوب» أذنب فعلاً ثم عفى عنه.

هذا العفو أو الغفران لا يؤهل الإنسان للمثول فى حضرة الله، بل هو كاف فقط لإعفائه من عقوبة السجن الأبدى العتيد، والمرور به خارج بحيرة النار والكبريت الملتهبة، وإطلاقه بعيداً عن الهوة الجهنمية المفتوحة.. أما أن يؤهّل ذلك الإنسان لدخول السماء والبقاء فى حضرة الله، فهذا يحتاج إلى عملية أخرى، هى التبرير.

والخلاصة:
أن الغفران هو العفو عن كل ما صدر منى من خطايا، وعدم احتسابها علىّ إذ قد رُحِّلت على بديلى.. فرحلت عنى إلى الأبد.

ثانياً: التبرير

نعود إلى «محسوب».. وقد وصل إلى المنزل مع أهله.. يتسامرون معه، فيلاحظون شروده.. يهونون عليه على مظنة أن أهوال السجن هى السبب فى شروده، فلا يتجاوب معهم.. فهو فى وادٍ آخر قد بات على أمر مجهول.. هم فى

أرض الواقع، وهو فى وادى الأحلام.. ينشغلون عنه هنيهة فى إعداد الطعام وخلافه، فينسلّ من بينهم دون أن يشعروا، مهرولاً حتى سراى الوالى.. عند الباب يمسكه المكلفون بالحراسة ويستجوبونه:

● من؟.

❏ أنا السجين رقم «١٠٥».

● ماذا تقول؟.

❏ «١٠٥».

تعلو الجلبة.. ويتجمهر رهطُ من الحراس.. يسأله رئيسهم:

● ماذا تريد يا رجل؟.

❏ معى قرار خديوى بالعفو والإفراج.

● قلت لك ماذا تريد؟.

❏ أن أحضر العرس.

● ماذا؟!!.

❏ أحضر العرس.

● من تكون؟.. وبأى صفة؟.

❏ بقرار العفو.. لقد «أرسل الوالى فحلنى، سلطان الشعب فأطلقنى».. هاكم القرار.. وأمام أعينكم جلباب الإفراج الأميرى أرتديه.

● وهل تظن أن قراراً بالعفو عن مسجون يخوّل له أن يحضر عرس ابن الخديوى؟.. حتى لو ارتدى حريراً سلطانياً لا زفيراً أميريا.

❏ ولم لا؟.. أنا الآن حر.

● حرٌ فى أن تعود أدراجك، لا أن تتطفل على حفل ولىّ النِعم.

❏ ولكن...

● يقاطعه الحراس:

اذهب يا رجل فوراً وإلا...

❏ أود أن أسأل: ما هى مؤهلات المدعوين إذاً؟.. وما هى الصفة التى تخوّل لصاحبها حضور العرس؟.

وبينما يدفعه الحراس بعيداً، يجيبه أحدهم:

● إن الصفة اللازمة لدخولك العرس هى أن تكون أميراً.. أو ناظراً (وزيرا).. أو مندوباً (سفيرا).. أو قائداً أو حامل نيشان همايونى.. أو صاحب رتبة شاهانية أو حتى ديوانية.

ويضيف آخر:

● أما الحرافيش أمثالك فالأحرى بهم أن يُعادوا إلى سجنهم، ولا يغادرونه أبدا.

يعود «محسوب» كسيفاً ليجد أهله معذبين فى البحث عنه.. تفرش المائدة.. يلقم ما قلّ من الطعام.. وينهى جلسته معهم ثم يدخل لينام.. فيرى فى منامه مركبة خديوية، يجرها صفان من الجياد المطهّمة، تقف أمام منزله.. يستطلع الخبر من الشرفة، فيسمع من يسأل الجيران عن شخص اسمه «محسوب».. وفى غمرة اندهاشه يجد اثنان من رجال التشريفة يسعيان إلى حجرته، وينحنيان أمامه وعلى أيديهم أقمشة ملونة وأشياء ذات بريق.

❏ ما هذا؟.. ومن أنتم؟.

● مولانا أنعم عليك برتبة «البكوية».. وهذه هى الحلة المخصصة لها مع نياشينها وأوسمتها. كما أنه يدعوكم لحضور عرس ابنه.

ينزلق «محسوب» فى الحلة القشيبة ويعلق نياشينها.. يندفع إلى العربة ويستوى فيها.. يطفر قلبه والجياد تطفر إلى السراى.. تصل العربة، وتفتح أبوابها ليترجل «محسوب» مزهواً إلى البوابة.. سيفحم الحراس هذه المرة إن هم اعترضوه.. يدلف منتشياً من بوابة الحديقة.. يتعجب فلا أحد منهم يستوقفه.. مجرد قعقعات يحدثونها بأسلحتهم وهم يرفعونها فى الهواء عند مروره.. إنها التحية التى كانت تؤدى لحاكم دار السجن.. ربما له هذه المرة أو لرتبته الجديدة.. لا يكترث، فليس

هذا ما يشغل فكره.. يجتاز الحديقة.. ضوعة الأزاهير تسكر أنفه.. لا يبالى، فصدره يتشمم أمراً أزكى.. أصوات الموسيقى تطرب أذنيه.. لا يتجاوب، فآذانه الداخلية تتصنت(*) إلى موسيقى أعذب.. أضواء السراى تبهر باصرتيه.. لا يلتفت، فعيونه الداخلية تتلمس نوراً أسنى.. يلج من باب السلاملك مخترقاً قاعات السراى مهرولاً فى ردهاتها.. تنخطف عيناه لما يراه.. لا ينجذب، فقلبه موضوع على شيء أعظم.. يمضى لا يلوى على شيء فقد اقترب من هدفه المأمول.. يصل إلى قاعة العرش فتتسارع دقات قلبه.. ينخرط إلى عمق القاعة ليجد أفندينا وجهاً لوجه.. قابعا فى سكون وجلال.. وقتها فقط يتوقف سعيه.. لقد نال مراده، وحظى بالحضرة الخديوية نفسها.. لقد أدرك السّدرة بوصوله للحضرة.. فياللوصول.

● من؟.. يطلقها الخديوى، فتطرب لها مسامع «محسوب» أحلى من كل ما يصدح من أنغام.. إنه صوت أفندينا شخصياً.. فيرد بثقة:

❑ أنا السجين رقم «١٠٥».. ومعى قرار بالعفو من سمو دولتكم.

● تقصد «محسوب»؟.

❑ نعم.. من محاسيب ألطافكم.

● ألا تستحى يا رجل؟.

❑ م؟.. وقد تم الإفراج عنى بعطوفة عظمتكم.

● عظمتنا ينعم عليك «بالبكوية»، وترتدى حلتها.. ولا تزال أسيراً للماضى.. أنت الآن «محسوب بك».. ألا تفهم؟.. لو أنك لا تزال السجين رقم «١٠٥»، والحاصل على قرار بالعفو والإفراج لما كان لك مكان هنا.. حتى لو كان قرار الإفراج قد صدر منى.. فالإفراج عنك شيء.. وحصولك على الرتبة السامية، وارتداء حلتها شيء آخر.. الإفراج عنك يخرجك فقط من السجن لتعود إلى أهليك.. أما الرتبة الجديدة فهى التى خولّت لك دخولك

(*) الكلمة الصحيحة: تتنصت.

إلى قصرنا.. وحضورك عرس ابننا.. هل فهمت يا.. «بك».. والآن إلى الوليمة.

ينخلب لبُّ «محسوب» خلال الحفل الباذخ لما يراه من رتبٍ وتحف، وما يبهره من فوانيس وثريات، وما يسمعه من موسيقى وألحان، وما يقدَّم إليه من طعام وشراب.. لكن لبّه الأكبر مأخوذ إلى بهاء أفندينا وابنه.. يحتويه جلال الموقف فينسى نفسه ورتبته والحفل وما فيه انجذابا لعظمة الحضرة الخديوية.. الشيخ يغني: «عشنا وشفنا..».. فيردد «محسوب» مع «التخت» بكل نشوة: حقا «عشنا وشفنا».. ويضيف مقاطعا المغنّى: «طوبى لعينىَّ لأنها تبصر.. ولآذانى لأنها تسمع».. الشيخ يغنى «الخير على قدوم..».. فيقاطعه «محسوب» بل الخير على يدى ولى النعم.. فهو مولانا وخيرنا.. «وطوبى لمن يأكل خبزاً فى بلاط أفندينا».

ينتهى الحفل ويخرج «محسوب» إلى الشارع ليجد زحاماً من الخلق المهللة لعرس الأمير.. ينتابه انتعاش فيدندن.. يزداد انتعاشه «فيغنى بين الناس»: قتلت رجلاً وأخذت عفواً.. «فعلت الشر ولم أجاز عليه».. بل نلت رتبة.. وحظيت بالحضرة السنية لكبير الأسرة العليّة.. أ أفرح لنفسى وما نلته، أم للأمير فى يوم عرسه؟.. يزداد صياحه، وأهله حول فراشه يجاهدون لإيقاظه.. يفيق فيقاطعهم.. يسامرونه فيشرد عنهم.. وبهاء الحضرة الخديوية يداعب خياله.. وأفراح عرس الأمير تغازل وجدانه.. فيهتف ـ ولكن مستيقظاً ـ «طوبى للمدعوين إلى عشاء عرس الأمير».. يحاولون تهدئته فيهادنهم على أمل أن ينصرفوا عنه.. أو ينصرف عنهم إلى ركن قصى.. يخلو فيه إلى نفسه ويعاود أحلامه السعيدة.

عزيزى القارئ.. إن ما حصلنا عليه من بركات روحية فى المسيح يسوع (أف ١ : ٣) يفوق كل ما يخطر على قلب إنسان، وكل ما يطيش به صواب حالم.. إنه «ما لم تر عين ولم تسمع أذن ولم يخطر على بال إنسان (فى واقع أو خيال أو حلم) ما أعده الله للذين يحبونه» (١ كو ٢ : ٩).. إن أحلام هذا السجين تتدنى تواضعاً، وتنكمش تصاغراً أمام ما قد صار لنا ـ فعلاً لا حلماً ـ حقيقة لا خيالاً ـ من بركات.. وقد رأينا بركة الغفران والعفو.. والآن نأتى إلى بركة التبرير.

ما هو التبرير؟.. هو حصولى على الرتبة التى تؤهلنى للوجود فى حضرة الله (أى احتساب هذه الرتبة لى)، ونوالى المؤهل الذى يخّول لى دخول السماء دون أدنى اعتراض.

ما هى هذه الرتبة؟.. إنها من نوعية رتبة المسيح يسوع التى أعطاها له الله نتيجة كماله الأدبى المطلق وطاعته وموته على الصليب.. فهو كإنسان عاش على الأرض، مجّد الله تماماً.. واستطاع أن يقول «أنا مجدتك على الأرض. العمل الذى اعطيتنى لأعمل قد أكملته» (يو ١٧ : ٤).. أكمله عندما «**أطاع حتى الموت موت الصليب، لذلك رفعه الله**» (فى ٢ : ٨، ٩) بأن «**أقامه من الأموات وأجلسه عن يمينه فى السماويات فوق كل رياسة وسلطان وقوة وسيادة وكل اسم يسمى ليس فى هذا الدهر فقط بل فى المستقبل أيضاً**» (أف ١ : ٢٠، ٢١).. وأجلسه «**مكللا بالمجد والكرامة من أجل ألم الموت**» (عب ٢ : ٩) «**وأعطاه اسماً فوق كل اسم** (أى رتبة فوق كل رتبة) **لكى تجثو باسم يسوع كل ركبة ممن فى السماء ومن على الأرض ومن تحت الأرض ويعترف كل لسان أن يسوع هو رب** (أى صاحب) **لمجد الله الآب**» (فى ٢ : ٩ ـ ١١).. «**وأخضع كل شيء تحت قدميه وإياه جعل رأساً فوق كل شيء**» (أف ١ : ٢٢).

ولاحظ كلمة **لذلك** رفعه الله.. وكلمة **من أجل** ألم الموت.. مما يفيد السببية.. بمعنى أن هذه الرتبة هى مكافأة الله له ـ كإنسان ـ **بسبب** كماله الأدبى المطلق وطاعته التى لا نظير لها.. حتى الموت موت الصليب.

ومن امتلك هذه الرتبة فقد امتلك الشهادة الإلهية بأنه قد أكمل كل بر (مت ٣ : ١٥).. أى نجح أدبياً بدرجة ١٠٠ ٪ إن جاز التشبيه.. وحقّ له أن يدخل السماء، ويوجد فى حضرة الله.. **والمسيح وحده** ـ كابن الإنسان ـ هو من استحق أن يحصل على هذه الرتبة، ويمتلك هذه الشهادة بجدارته الشخصية.

ولأن مقاييس السماء فائقة.. وكمال الله مطلق بلا حدود.. فإن شهادة أقل من هذه الشهادة غير معترف بها لديه.. وأحداً أقل من المسيح المقام لن يكون له

مكان فى حضرته.. ورتبة أقل من رتبة المسيح الجالس فى السماء لن تؤهل صاحبها لدخول السماء.. فإما المسيح وقياسه، وإلا فلا.. وكبشر من لنا بالوصول أدبياً إلى المسيح.. أو الارتفاع برتبتنا ولو إلى «هدب ثوبه» ؟.. فوقت أن كانت أذياله تملأ الهيكل سمواً وارتفاعاً، كان إشعياء ينتحب بسبب نجاسة شفتيه هو وشعبه (إش ٦ : ١، ٥).

على أنه إن لم يكن لنا وصول بذواتنا إلى مستواه الأدبى، وإن لم يكن لنا حق الحصول بجدارتنا على رتبة مماثلة لرتبته، إلا أنها قد منحت لنا هبة «واحتساباً» دون جدارة من ذواتنا.

لقد حلم «محسوب» فى تطرف بمن طرق بابه لينعم عليه برتبة «البكوية»، ويفتح أمامه باب «السراى»، لكننا لسنا نحلم إن صدقنا البشارة «بأن المسيح يسوع جاء إلى العالم (وطرق أبوابنا) ليخلص الخطاة» (١تى ١ : ١٥).. ولسنا نتطرف إن قبلنا بالإيمان الرتبة المعروضة علينا.. رتبة المسيح المقام نفسه.. التى حصل عليها بعد قيامته.. وهو لم يحصل عليها لنفسه فقط، بل قد حصل عليها ليعطيها لنا أيضاً.. لهذا يكتب الرسول أنه «أُقيم لأجل تبريرنا» (رو ٤ : ٢٥).. أى أقيم حاصلاً على هذه الرتبة.. لأجل تبريرنا، أى لأجل إشراكنا فيما حصل عليه، ومنحنا نصيباً فيه.. أو بالحرى لأجل حصوله على شئ **جديد** يمكن أن يشركنا فيه، حيث أنه حاشا لنا أن نشترك فى مجده الأزلى، أو نتطاول بمجرد التفكير فى ذلك.

على أنه إن كان قد أشرك كنيسته فيما حصل عليه كابن الإنسان بعد قيامته، إلا أنه يظل **رأسا لهذه الكنيسة**.. «فهو **رأس الجسد الكنيسة**. الذى هو البداءة **بكر من الأموات لكى يكون هو متقدماً فى كل شئ**» (كو ١ : ١٨).. ليكون هو **بكراً** بين إخوة كثيرين (رو ٨ : ٢٩).. فإن كنا قد صرنا ملوكاً (رؤ ١ : ٦)، فهو «**ملك الملوك** ورب الأرباب» (رؤ ١٩ : ١٦).. وإن كنا أصبحنا كهنة (رؤ ١ : ٦)، فهو **رئيس الكهنة العظيم**» (عب ٤ : ١٤).. لقد حق للمرنم أن ينشد له قائلا: أحببتَ البر وأبغضتَ الإثم من أجل ذلك مسحك الله إلهك بدهن الإبتهاج **أكثر من رفقائك**» (مز ٤٥ : ٧).

لذلك يقول الرب لمريم المجدلية بعد قيامته: «اذهبى إلى إخوتى وقولى لهم إنى أصعد إلى **أبى** وأبيكم **وإلهى** وإلهكم» (يو ٢٠ : ١٧).. ما معنى هذا؟.. معناه أنه إن كنت يا مريم أدعوهم إخوتى كما جاء فى المزمور (مز ٢٢ : ٢٢)، إلا أنه لا نقف ـ أنا وهم ـ على قدم المساواة ؛ لا فى أبوة الله ـ فهو أبى بصفة مميزة باعتبارى الابن الأزلى، وأبوكم أيضا ولكن بالتبنى (أف ١ : ٥) ـ ولا فى ربوبية الله ـ فهو إلهى أيضا بصفة مميزة باعتبارى ابن الإنسان الكامل، وإلهكم أيضاً. فالمسيح لا ينفرد بالتميز فقط باعتباره ابن الله الأزلى الأبدى، بل أيضاً باعتباره ابن الإنسان الذى «بعدما صنع بنفسه تطهيراً لخطايانا **جلس** ـ باستحقاقه ـ فى يمين العظمة فى الأعالى صائراً **أعظم** من الملائكة بمقدار (أى بنفس درجة) ما ورث اسماً **أفضل** منهم» (عب ١ : ٣، ٤).. فهو المتقدم عن الكل، فى كل شيء، وفى كل مجال.

ودخوله إلى السماء ـ أيضاً مثل قيامته ـ هو **من أجلنا**.. فكما «أقيم **لأجل** تبريرنا» (رو ٤ : ٢٥)، فهو أيضا قد دخل السماء «كسابق **لأجلنا**» (عب ٦ : ٢٠).. أى أنه لأجلنا قد دخل ليكون سابقاً لنا، مقدما بذلك عيّنة تبين إمكانية دخول إنسان ما ـ بصفة عامة ـ إلى السماء.. شريطة أن يكون هذا الإنسان هو المسيح نفسه الذى مجد الله فى حياته على الأرض، أو من وصل إلى قياس المسيح عن طريق احتساب رتبة المسيح له.

وبحصولنا (بالإيمان كما سنرى) على هذه الرتبة ـ رتبة المسيح نفسه.. أو بالحرى رتبة من نوعيتها، ذلك لتفرده فى كل شئ كما رأينا ـ نرتدى حلتها أى المسيح أيضاً.. فنصبح «**فى المسيح**» (٢كو ٥ : ١٧) أى مرتدين المسيح.. وبوجودنا فيه لا نقف فقط عند حد نجاتنا من الدينونة تطبيقاً للمكتوب «إذاً لا شيء من **الدينونة** الآن على الذين هم **فى المسيح يسوع**» (رو ٨ : ١).. بل نتخطى ذلك أيضاً إلى حد فتح أبواب السماء أمامنا بلا تحفظ.. ذلك لأن هذه الأبواب والحال هكذا لاتكون قد فتحت لنا، بل للمسيح الذى نحن فيه.. تطبيقاً أيضاً للمكتوب «أعرف **إنساناً فى المسيح**... اختطف هذا إلى **السماء الثالثة**... واختطف إلى **الفردوس**» (٢كو ١٢ : ٢ ـ ٤).

لكن من كان هذا الإنسان الذى اختطف إلى السماء الثالثة... وانفتحت له أبواب الفردوس؟.. لم يكن إلا الرسول بولس نفسه كاتب هذه العبارات.. لكن لماذا لا يكتب قائلاً: أنى أنا بولس قد اختطفت إلى الفردوس.. بل كتب أن إنساناً فى المسيح هو الذى اختطف إلى الفردوس؟.. ذلك لكى يقول لنا أن دخول الإنسان إلى السماء لن يكون بسبب رتبته هو حتى لو كانت رتبة «رسول» مثل بولس بل يكون بسبب كونه **فى المسيح** أى حاصلاً على رتبة المسيح المقام.

فإن تركنا «محسوب» وحواره مع الحراس على باب السراى، وسافرنا بالخيال مع بولس لنستمع إلى حواره على باب الفردوس.. وهل للفردوس باب أو بواب.. ألم نقل أنه خيال لم ولن يحدث.. وبالتالى تنقصه دقة الواقع وجلاء الحقيقة:

● من أنت؟.

❐ أنا بولس.

● من بولس؟.

❐ بولس الرسول.

● ماذا تعنى؟.

❐ ألا تعرفنى؟.

● بل لم أسمع عنك.

❐ كيف؟.. وملايين من الوثنيين قد آمنت عن طريق كرازتى؟.

● أين؟.

❐ فى العالم.

● نحن هنا فى الفردوس.

❐ ألا يوجد لديكم فى الفردوس مؤمنون راقدون، انطلقوا من العالم ليكونوا مع المسيح؟.

● بلى.

❑ أكثرهم أولادى فى الإيمان.

● ليس بموضوع.. ماذا تريد؟.

❑ أن أدخل.

● قلت لك ما هويتك؟.

❑ وأنا اجبتك بولس الرسول.. آنية الوحى.. ومتلقى الإعلانات.. وكاتب الرسائل العديدة.. وصاحب التاريخ العريض فى الكرازة.. وعلى مستوى العالم كله.

● لا أعرفك.

❑ ناد على اثنين أو ثلاثة من أولادى فى الإيمان الموجودين لديكم فى الفردوس فسيشهدون لك بأننى الرسول بولس.

● كلام غير مجدٍ.

❑ «إن شهادة رجلين حق» (يو ٨: ١٧) حال سكناهما دار البُطل، فما بالك بشهادتهما وقد وصلا إلى حيث لا يوجد كذابون (رؤ ٢١: ٢٧، ٢٢: ١٥).

● أصدق أنك بولس.. بل والرسول العظيم نفسه،وأصدق أن لك أولاداً فى الإيمان فى الداخل.. ودون أن أسمع شهادتهم.. وأصدق أن لك رسائلك وخدماتك.

❑ إذاً دعنى أدخل.

● كلاً.

❑ مادمت تصدق أنى بولس.. فلماذا؟.

● لأنك بولس الرسول العظيم.. ولا جواز عندنا لدخول أمثالك.. ولو كانوا أعظم الرسل.

❑ لمن الدخول إذاً؟.

● اسأل نفسك.. ألست رسولاً ولك كتاباتك كما تقول؟.

❏ صحيح كتبت.

● ارجع لكتاباتك إذاً.. فكتابات الرسل عموماً ـ على قدر علمى ـ تلغى الإنسان.

❏ قصدك ألغى بولس؟.

● وغيره.. لم أقرأ كتاباتك.. لكن ألا يوجد فيها هذا المعنى؟.

❏ بلى.. كتبت لاغياً بولس وأبلوس.

● عظيم.. وماذا بعد؟.

❏ كتبت أنه لا بولس.. ولا ابلوس.. ولا صفا.. بل المسيح.

● اتفقنا.

❏ أتريدنى أن أقول لك أننى المسيح نفسه حتى أدخل؟.

● لا يدخل هنا إلا المسيح، أو من هو على قياس المسيح.

❏ قياس المسيح؟.

● نعم.

❏ وكيف الوصول؟.

● ألا تعرف؟.

❏ معذرة.. ربما طول الرحلة أو رهبة الموقف أثّرا علىّ.

● ألا ترى هؤلاء المنطلقين من العالم فى هذه اللحظة داخلين أمامك، بينما أنت واقف؟.

❏ بلى.

● .... مع كونهم مؤمنين عاديين.. وليسوا رسلاً.

❏ بلى.

● كيف تراهم؟.

❑ أراهم فى المسيح.

● لذلك فهم على قياسه.

❑ وأنا أيضاً فيه.

● أصبت.. قل هذا لزميلى فى المحرس التالى. وسيفتح لك الباب.

وفى المحرس التالى:

❑ من؟.

● بولس فى المسيح.

❑ كيف إذاً عبرت المحرس الأول؟.

● زميلك.

❑ عد من حيث أتيت.

وعند المحرس الأول:

● ماذا؟.

❑ أعادنى إليك.

● ماذا قلت له عن هويتك؟.

❑ بولس فى المسيح.

● ثانية بولس؟.. عجيب أمرك!.. ألم نتفق على إلغاء بولس وأبلوس وكافة الأسماء والشخصيات؟.

❑ ماذا أقول إذاً؟.

● لا يرد اسم بولس على لسانك إطلاقاً لحظة الدخول.

❑ فمن أكون إذاً؟.

● كالذين رأيتهم داخلين.. من كانوا؟.

❏ لا أعلم أسماءهم.

● ولا أنا.. لكن ألم تر هويتهم؟.

❏ تقصد أناس.. فى المسيح؟!

● نعم.. وهذا هو المطلوب وحده للدخول.. ثم ليكن لأسمائهم أو لأعمالهم أو لتاريخهم بعد ذلك ما يكون من شأن.. فذلك فى الداخل.. وبعد الدخول.

❏ تقصد أن أقول فقط أنى **إنسان فى المسيح**؟.

● تماماً.. **إنسان فى المسيح**.. وليس بولس فى المسيح.. إنسان **فقط** وأى إنسان طالما **فى المسيح**.. إن السماء على طهارتها، ترحب بك وبأى إنسان، ولكن فى المسيح.. والدخول على استحالته للبشر، ميسور ولك لكل إنسان ولكن فى المسيح.

هذه هى الرتبة: رتبة المسيح.. وهذا هو التبرير: ارتداؤها.. وهى رتبة اعتبارية.. وبر حسابى لا فعلى.

بمعنى: أن الله يعتبر صاحب هذه الرتبة باراً.. دون النظر إلى بره العملى.

وقبل أن نرى النصوص الكتابية التى تبين هذا البر وتبين أنه حسابى دون أن يكون لأعمال المتبرر دور فى احتسابه له، نود أن نرى أولاً كيف يحسب هذا البر للإنسان.

إن ذلك يتم **بالإيمان**.. بمعنى أن الأمر لا يحتاج منىّ لأكثر من تصديق الله.. وذلك فى أمرين.

أولهما: أننى خاطىء ومحكوم علىّ بالهلاك الأبدى وأحتاج إلى الغفران الإلهى لإنقاذى من الهلاك، وأحتاج إلى التبرير الإلهى لدخولى السماء.

وثانيهما: أنه ليس بوسعى تخليص نفسى من جهنم، أو تأهيل نفسى للسماء، وإنما يمنحنى الله الغفران مجاناً، ويبررنى أيضاً مجاناً على أساس موت

المسيح نيابة عنى وقيامته.. ذاك «الذى أسلم من أجل خطايانا وأقيم لأجل تبريرنا» (رو ٤ : ٢٥).. دون أن يحتاج المسيح إلى مجاهدتى معه فى موته من أجل خطايانا، أو مساعدتى له فى قيامته لأجل تبريرنا.. إذ أكمل العمل وحده وقدم عطاياه مجاناً.. وما علىَّ إلا قبول ذلك وتصديقه.. أى الإيمان به.. وبهذا تغفر خطاياى مجاناً، لأن «له يشهد جميع الأنبياء أن **كل من يؤمن به** ينال باسمه غفران الخطايا» (أع ١٠ : ٤٣).. وأيضاً أتبرر مجاناً، كما كتب الرسول «متبررين **مجاناً بنعمته بالفداء** (أى على أساس الفداء) الذى بيسوع المسيح الذى قدمه الله **كفارة بالإيمان بدمه**» (رو ٣ : ٢٤).. فبالإيمان ـ وبالإيمان **وحده** ـ تغفر خطاياى، وأتبرر.

نعود إلى نوعية هذا البر لنجد أنه برٌّ حسابى.. حتى أن بولس ذكر فى أصحاح واحد هو (رومية ٤) كلمة «**حُسب له** البر»، «**ويحسب لنا** البر» وذلك «بدون أعمال» حوالى عشر مرات.. ولنقرأ معاً معظم هذا الأصحاح دون تفسير باستثناء بعض العبارات التى أضيفت لتوضيح المعنى وقد وضعت بين قوسين.

رسالة رومية أصحاح ٤

«.... لأنه ماذا يقول الكتاب: فآمن إبراهيم بالله **فحُسب له**[١] براً.... وأما الذى لا يعمل ولكن يؤمن بالذى يبرر الفاجر فإيمانه **يُحسب له**[٢] براً. كما يقول داود أيضاً فى تطويب الإنسان الذى **يحسب له**[٣] الله براً بدون أعمال.... طوبى للرجل الذى **لا يحسب له**[٤] الرب خطية. أفهذا التطويب هو على الختان فقط (أى على مبدأ الأعمال لمن هم تحت الناموس) أم على الغرلة أيضاً (بدون الأعمال لمن هم خارج دائرة الناموس). لأننا نقول إنه **حسب لـ**[٥] إبراهيم الإيمان براً. فكيف **حسب**[٦]. أوهو فى الختان (على مبدأ الأعمال) أم فى الغرلة (بدون الأعمال). ليس فى الختان بل فى الغرلة.... ليكون أباً لجميع الذين يؤمنون وهم فى الغرلة (بدون الأعمال) كى **يحسب لهم**[٧] أيضاً البر.. وأباً للختان (وليس لكل الختان بل) للذين ليسوا من الختان فقط (أى الذين ليس لكونهم فقط من الختان) بل أيضاً يسلكون فى خطوات إيمان أبينا إبراهيم الذى

كان (أى الإيمان الذى كان لإبراهيم) وهو فى الغرلة (بدون الأعمال).... (فإبراهيم) آمن بالله الذى يحيى الموتى (مثل إبراهيم نفسه) ويدعو الأشياء غير الموجودة (مثل اسحق) كأنها موجودة. فهو على خلاف الرجاء آمن على الرجاء.... وإذ لم يكن ضعيفاً فى الإيمان لم يعتبر جسده وهو قد صار مماتاً إذ كان ابن نحو مائة سنة ولا مماتية مستودع سارة (بمعنى أنه لم يضع فى اعتباره وحساباته موت جسده وجسد سارة). ولا بعدم إيمان ارتاب فى وعد الله. بل تقوى بالإيمان معطيا مجداً لله. وتيقن أن ما وعد به الله قادر أن يفعله أيضاً.

لذلك أيضا حُسب له[8] برا

ولكن لم يُكتب من أجله وحده أنه **حُسب له**[9] بل من أجلنا نحن أيضاً الذين **سيحسب لنا**[10] الذين نؤمن بمن أقام يسوع ربنا من الأموات. الذى أسلم من أجل خطايانا وأقيم لأجل تبريرنا».

ولا يتوقف الأمر عند تكرار كلمة «حُسب» ـ ومشتقاتها ـ هذا العدد من المرات مما يبين أنه **بر حسابى**، بل تذكر هذه الكلمة «حسب» ـ ومشتقاتها ـ بصيغة المبنى للمجهول.. أى أنى لا أحسب هذا البر لنفسى بل يحسبه لى شخص آخر، هو الله «الذى يبرر» (رو ٨ : ٣٣).. دون أن يكون لى دور فى الأمر إلا **الإيمان**، الذى ورد ذكره ـ مع مشتقاته ـ فى هذا الأصحاح ١٦ مرة.. لذلك هو بر **حسابى شرعى** نتيجة **الإيمان**.. وليس براً عملياً فعلياً نتيجة الأعمال.. إنه «البر الذى من الله **بالإيمان**» (فى ٣ : ٩).. ويؤكد هذا كما رأينا أنه حسب لإبراهيم وهو فى الغرلة قبل ختانه بحوالى خمس عشرة سنة، وأيضا قبل تأصيل مبدأ الأعمال تحت الناموس بأكثر من أربع مئة سنة.. وحسب له فور إيمانه وقبل أن ينجب اسحق (تك ١٥ : ٦)، عندما كان ميتاً فى ذاته وعاجزاً عن الإثمار وذلك ليكون عينة لكل العجزة والأموات فى ذواتهم، ولكنهم يؤمنون بالله الذى يحيى الموتى (رو ٤ : ١٧)، فيحسب لهم البر (رو ٤ : ٢٣).

هذا البر الحسابى هو البر الرسمى الوحيد المعترف به من الله، واللازم، والكافى وحده لتأهيل الإنسان للدخول إلى حضرة الله والتواجد فيها.

أما البر العملى فمطلوب لكن ليس لدخول السماء.. وصاحب هذا البر العملى «له فخر ولكن ليس لدى الله» (رومية ٤ : ٢).

فالمؤمن إذاً **محسوبٌ** له البر على أساس الإيمان.. **ومحسوبةٌ** له رتبة المسيح نفسه ـ الذى أكمل العمل فمجّد ـ بدون أعمال.

إن المؤمن بهذا يفوق السجين «محسوب بك» بالفارق بين رتبة المسيح السماوية، ورتبة «البكوية» الأرضية.. بين «الحلة الأولى» التى أنعم بها الآب على الابن الراجع (لو ١٥ : ٢٢)، وبين حلة «التشريفة» الأميرية التى أنعم بها «الخديوى» على «محسوب».. بين الواقع السماوى، وبين الأحلام البشرية.

أى حساب فائق لكل خيال هذا الذى جعل كلاً منا (نحن المؤمنين) محسوباً له هذا البر.. فأضاف إلى رصيدنا درجة ورتبة تصل بها قامتنا إلى قامة المسيح الأدبية اعتباريا.. بغض النظر عن مستوانا هنا.. لذلك فقد أصبحنا «**فى المسيح**».. قدام الله «**قديسين**» (أف ١ : ٤).. أى أن الله يضعنا على هذه الدرجة وبتلك الرتبة التى للمسيح فيعتبرنا «قديسين».. ولأنه يمكن أن يكون هناك لوم على أى قديس، لذلك فحتى ينفى الرسول شبهة وجود أية ملامة علينا فإنه لا يتوقف عند قوله «قديسين»، بل يضيف «**وبلا لوم** قدامه فى المحبة» (أف ١ : ٤).. وإن شئنا استخدام التشبيه لقلنا أنه يرى كلاً منا بدرجة «قديس أول».

ووكيل الوزارة فى بلادنا (مصر) درجة ووظيفة.. أى درجة مالية يُربط عليها الموظف.. ثم وظيفة يمارسها أو عمل يقوم به.. لكن لكثرة عدد الموظفين الذين يتدرجون فى السلم الوظيفى فيستحقون درجة وكيل وزارة.. ولقلة الأعمال الخاصة بهذه الوكالة بالنسبة إلى عدد الموظفين المستحقين لها، فإن الحكومة تعالج المسألة بمنح الموظف درجة وكيل وزارة فقط.. فيرقى إلى هذه الدرجة مالياً دون أن يقوم بعمل وكيل وزارة فعلاً.. فيصبح الموظف مربوطاً على درجة وكيل وزارة بغض النظر عن عمله الذى يتولاه فى الوزارة.. ثم تمضى الأيام فيستحق هذا الموظف درجة أخرى.. فيرقى إلى وكيل أول وزارة.. وربما أيضاً دون أن يمارس

هذا العمل.. إنها الدرجة التي رُبط عليها.. بغض النظر عن العمل الذى يقوم به.

إنها رتبته الحسابية الاعتبارية فى نظر الدولة.. ومثلها التبرير الحسابى.. فكل مؤمن إن جاز التعبير «مربوط» على درجة «قديس أول».. أو بالحرى «**قديس وبلا لوم**».. وهل هناك من البشر من هو **بلا لوم**؟.. بالطبع كلا.. لكنها الدرجة المربوط عليها كل مؤمن شرعاً فى السماء.. درجة المسيح نفسه.. لأنه الوحيد الذى عاش بلا لوم.. فياللمستوى!!

وهذا لا يدفع المؤمن إلى التساهل فى العيشة بل على العكس فإنه ـ نتيجة لمركزه ـ يجد نفسه تلقائياً منحازاً لصف الله مع البر والقداسة العملية ضد الشر والخطية.. فإن اتبع الأسلوب الكتابى الصحيح ـ كما سنرى فى الإصدارات التالية(*) ـ نجح فى الانتصار على الخطية والعيشة بالبر.. واقتربت حالته العملية من درجته الرسمية ومركزه الشرعى.. فيحيا باراً عملياً كما هو بار شرعياً.. ويعيش «قديساً نظير القدوس الذى دعاه» (١بط ١ : ١٥).. لكن تظل عيشته هنا أيا كان مستواها شيء، ودرجته الأدبية المربوط عليها ـ أو بالحرى المحسوبة له ـ فى السماء شيء آخر.

والخلاصة:

أن التبرير هو أن يصبح المؤمن **فى المسيح** وبالتالى، **محسوباً مسيحاً** من الناحية الأدبية.. له الحق ليس فقط فى النجاة من الدينونة والعقاب الأبدى.. بل له الحق أيضاً فى الدخول إلى حضرة الله والوجود فى حالة القبول أمامه دائماً، والشبع بوجهه إلى الأبد.. «أما أنا **فبالبر** أنظر وجهك. أشبع إذا استيقظت بشبهك» (مز ١٧ : ١٥).

وقبل أن نختم موضوعنا نود أن نسأل: إن كان هناك بر حسابى فى الكتاب، فهل هناك أيضاً مذنوبية حسابية؟.. نعم.

(*) «ميمى بك»، و«مجاهد فى الجبانة» و«رومية ٧».

ولأديب مصر العالمى «نجيب محفوظ» رواية تتناول المذنوبية الحسابية هذه.. بعنوان «بذلة الأسير».. تتحدث عن بائع سجائر جائل على رصيف محطة الزقازيق للسكك الحديدية.. يقف عليها قطار يحمل بعض أسرى الحرب من الإيطاليين مع حراسهم إبان إحدى الحروب.. فيشترى أحد الأسرى منه علبتى سجائر لقاء معطفه العسكرى.. يرتدى البائع معطف الأسير دون أن يفطن إلى العاقبة.. البائع يجرى فرحا بالمعطف.. الحراس فى القطار يلحظون البائع يجرى والقطار يتحرك.. ينادون عليه بالإيطالية ليركب فلا يفهم.. وبالإشارة فلا يأبه.. لم يكن أمامهم بدّ من أن يطلقوا عليه النار، فيدوى عزيف الرصاص ويجرى نزيف الدماء.. لقد أردوهقتيلاً، **حاسبين** إياه أسيراً قد هرب.

والمعنى الإنسانى الذى يود الأديب الكبير أن يوصله لنا هو أن قيمة الشخص يمكن أن تقاس اعتباريا بهويته لا بشخصه.. لا سيما من الناحية السلبية.. فيحسب البرئ مذنباً (حسابياً) لا لشيء إلا لوجوده وسط ملابسات (أو ملابس) مذنب.. أو بلغة أخرى لانتحاله هوية شخص مذنب.. فتنسحب هذه الهوية عليه دون أن يكون مذنباً فعلاً.. ذلك لأنها مذنوبية حسابية.. لا مذنوبية فعلية.

فإن تركنا القصص وعدنا للكتاب.. وجدنا فيه أيضاً مذنوبية حسابية منسحبة على جميع الناس.. وإن كانت واضحة وضوحاً شديداً لذى فريق بعينه من البشر، قدمه الرسول كعينة دامغة لوجود هذه المذنوبية الحسابية على الجميع.. هذا الفريق هم من عاشوا من آدم حتى موسى.

فلأنهم قبل موسى لم يكسروا الناموس.. إذ لم يكن هناك فى أيامهم ناموس يكسرونه.. «لأن الناموس بموس أعطى» (يو ١ : ١٧).. لذلك فهم ليسوا تحت حكم الموت الناتج عن كسر الناموس (عب ١٠ : ٢٨).

كما ولأنهم بعد آدم فهم لم يكسروا الوصية التى وُضعت لآدم (دون غيره) بعدم الأكل من شجرة معرفة الخير والشر.. وإن كان آدم قد كسر هذه الوصية فهم لم يكسروها.. إذ لم تكن هناك وصية فى أيامهم (ولا شجرة).. أى «لم

يخطئوا على شبه تعدى آدم» (رو ٥ : ١٤) .. وبالتالى ليسوا تحت حكم الموت الناتج عن كسر وصية عدم الأكل من الشجرة (تك ٢ : ١٧).

لكن الرسول يخبرنا أن الموت قد ملك عليهم: «ولكن قد ملك الموت من آدم إلى موسى(باستثناء واحد بالنعمة هو أخنوخ) وذلك على الذين لم يخطئوا على شبه تعدى آدم» (رو ٥ : ١٤) .. لماذا؟.. هل لسبب وجود الخطية فى العالم فى تلك الحقبة.. وبالتالى ملك الموت على مرتكبيها؟.. كلا.. إذ يجيب الرسول: بأنه «كانت الخطية فى العالم» (رو ٥ : ١٣) فى تلك الفترة..لكن لم يكن هذا هو السبب فى ملك الموت عليهم.. لماذا؟.. يضيف الرسول: «على أن الخطية لا تحسب إن لم يكن ناموس» (رو ٥ : ١٣) .. «إذ حيث ليس ناموس ليس أيضاً تعدّ» (رو ٤ : ١٥) .. أو بلغة أيامنا «لا عقوبة بغير نص» .. أى رغما عن وجود الخطية فى العالم فى هذه الفترة ورغما عن وصولها إلى خطية عبادة الأوثان بعد الطوفان، فما دام لم يرد نص بتجريمها فليست كسراً لأى ناموس، وبالتالى ليست هى السبب فى ملك الموت عليهم (وعلى العالم كله بعدهم) .. إذاً لماذا ملك الموت عليهم؟.. لأنهم أخذوا وضع بائع السجائر فى قصتنا.. الذى ربما كان مخطئاً فى أمور أخرى، لم يمت بسببها.. لكنه قضى عليه فقط بسبب ارتدائه معطفاً لشخص أسير.

وأى معطف ارتداه هؤلاء يا ترى؟.. إنه معطف آدم.

لذلك فبوجودهم فى معطف آدم جُعلوا خطاة حسابيا.. «لأنه بمعصية **الواحد** (آدم) جعل الكثيرون (هذا الفريق كعينة فريدة والجميع أيضاً) خطاة (رو ٥ : ١٩).

وبالتالى ملك الموت عليهم.. «لأنه بخطية **الواحد** قد ملك الموت» (رو ٥ : ١٧) على هذا الفريق لمدة ٢٥٠٠ عام.. وعلى الجميع أيضاً بعد ذلك وحتى الآن.

وتم الموت فعلاً فلا أحد من هذا الفريق حيّ حتى الآن.. ولا أحد من

بعدهم يعيش أبداً، «لأنه بخطية واحدٍ مات الكثيرون». (رو ٥: ١٥).

فريق آخر تتضح فيه المذنوبية الحسابية وحدها، وبالتالى تمكن الموت من الملك عليهم، دون أن يذنبوا فعلياً. هؤلاء ليسوا فئة من البشر شغلوا حقبة من الزمان ثم مضت أيامهم كالفريق الذى عاش من آدم إلى موسى عبر ٢٥٠٠ عام.. بل هم فريق مستمر من آدم إلى أيامنا طيلة ٦٠٠٠ عام.. من تراهم؟.. إنهم المعتوهون، والأطفال الذين يموتون قبل أن يبلغوا سن المسئولية.. فهل أخطأ الطفل حتى يموت.. أم على المعتوه مسئولية، أو مذنوبية فعلية حتى يملك عليه الموت، وهو الذى لا يعرف يمينه من شماله.. لكن قد ملك الموت عليهم جميعاً.. لماذا؟.. بسبب معطف آدم الذى وجدوا أنفسهم فيه بالوراثه.. أو بتعبير آخر بسبب المذنوبية الحسابية.

أمامنا الآن فريقان يوضحان بجلاء أن هناك مذنوبية حسابية.. وأنها وحدها كافية لوصول الموت إليهم، وسطوته وتسلطه ليملك عليهم.

على أن هذين الفريقين ليسا فقط هما من تشملهما هذه المذنوبية الحسابية.. بل إن هذه المذنوبية الحسابية تتسع لتشمل جميع البشر.. فالجميع فى معطف آدم وهذا ما قرره الرسول صراحة بالنسبة للجميع «.. بخطية واحدةٍ صار الحكم إلى **جميع الناس** للدينونة» (رو ٥: ١٨)، وأيضاً.. «.. فى آدم يموت **الجميع**» (١ كو ١٥: ٢٢).. وما هذان الفريقان المذكوران إلا عينة واضحة لتلك المذنوبية الحسابية التى شملت جميع البشر ومكّنت الموت من الملك عليهم.

فإن أضفنا إلى هذه المذنوبية الحسابية مذنوبية أخرى فعلية على الإنسان بسبب خطاياه، أدركنا مدى تردى حالة الإنسان فى بعده عن الله: مذنب حسابياً.. ومذنب فعلياً..(*) فياللتردى!!.. إنه هذه المرة يشبه بائع سجائر لا يرتدى

(*) وكما أن لبعض الجرائم شقّين: شقّ جنائى يستوجب القصاص وشق مدنى يستوجب التعويض، هكذا مذنوبية البشر الفعلية أمام الله لها شقّان: شقّ يماثل الشق الجنائى ويستوجب نار جهنم، وشقّ يماثل الشق المدنى ويستوجب تعويض الله.. وذبيحة الخطية فى العهد القديم كانت تتناول الشق الأول، بينما ذبيحة الإثم كانت تتناول الشق الثانى.. وهذا موضوع نؤجل الكلام فيه. =

فقط معطف أسير هارب فيستحق الموت لذلك.. بل من جانب آخر هو متهم بجرم وصادر ضده حكم بالإعدام.. فهو تحت حكمٍ مزدوجٍ بالموت.. وهذا ما أشار إليه الرسول.. «بإنسانٍ واحد (آدم) دخلت الخطية إلى العالم وبالخطية الموت (أى بخطية هذا الإنسان الواحد كما رأينا دخل الموت وملك على الجميع باعتبارهم مذنبين حسابياً) وهكذا اجتاز الموت إلى جميع الناس (ولم يكن اجتياز الموت إلى الجميع بسبب مذنوبيتهم الحسابية فقط بل أيضاً) إذ أخطأ الجميع (فأصبحوا أيضاً مذنبين فعلياً يحق للموت أن يجتاز إليهم) (رو ٥: ١٢).

فالإنسان كمذنب ـ حسابياً ـ باعتباره فى معطف آدم يستحق الموت.. وأيضاً كمذنب ـ فعلياً ـ عمل الشر والخطية يستحق الموت.. فسبحان قاهر الموتين!

وكما لو كان الأديب الكبير ملهما عندما اختار اسم «جحشة» لبائع السجائر فى قصته.. فيما يفيد الجهل.. إنه بذلك يريد أن يضيف مذنوبية فعلية للبائع علاوة على مذنوبيته الحسابية.. فعليه يقع جانب من اللوم لسبب غبائه وارتدائه لمعطف أسير، ثم لعدم انصياعه للتحذيرات المتعاقبة.

والإنسان فى الكتاب المقدس وإن كان قد ارتدى معطف آدم كرها لا طوعا، وليس غباءً منه إذ قد وُلد فيه، وتلك هى المذنوبية الحسابية.. إلا أن غباءه يظهر من جانب آخر فى عناده ورعونته وقساوة قلبه وتماديه فى طريق ضلاله رغما عن تحذيرات الله المتوالية له (أى ٣٣: ١٤)، وهذه هى المذنوبية الفعلية.. لذلك فإن الكتاب يشبهه **بالجحش** البرّى الوليد (أى ١١: ١٢).. فهو رغما عن التحذيرات المتعاقبة لا يكترث، بل «**كثور** يذهب إلى الذبح أو **كالغبى** إلى قيد القصاص

= وفى قصة أنسيموس العبد السارق والهارب من سيده فيليمون نرى هذين الشقين بوضوح، ونرى الرسول بولس كالمحامى البارع يتكفل بالدفاع عن أنسيموس لدى سيده لكى يقبله ليسقط عنه الشق الجنائى، ثم يتكفل بتسديد المسروق ليسقط عنه الشق المدنى.
أما المسيح (لابولس) فقد عالج شقَّى مذنوبيتنا الفعلية فى مواجهة الله (لافى مواجهة فيليمون): عندما مات كذبيحة خطية (٢كو٥: ٢١) فأسقط عنا الدينونة (فيما يشبه إسقاط الشق الجنائى).. ومات أيضاً كذبيحة إثم (إش ٥٣: ١٠) ليدفع عنا التعويض (فيما يؤدى إلى إسقاط الشق المدنى).
إلا أن المسيح قد مات أيضاً كالمحرقة فسدد بذلك ما لم يكن مطالباً بتسديده.. وإنما زيادة من جانبه قدمها طائعا لإشباع الله وإدخال السرور إلى قلبه.. وهذا موضوع آخر.

حتى يشق سهم كبده. كطير يسرع إلى الفخ **ولا يدرى** أنه لنفسه (أم ٧ : ٢٢، ٢٣).. وقد «**هلك شعبى من عدم المعرفة**» (هو ٤ : ٦).

وكان الجحش البكر المولود - فى العهد القديم - إما أن تُكسر عنقه (خر ١٣ : ١٣) فى إشارة إلى الدينونة التى تؤدى إليها مذنوبية الإنسان الفعلية (أم ٢٩ : ١) متمثلة فى الرعونة (هو ٧ : ١١) وصلابة الرقبة (خر ٣٢ : ٩) وقساوة القلب (رو ٢ : ٥)، فياللمصير!.. وإما أن يفدى بشاة (خر ١٣ : ١٣) - رمزاً لبكر الإنسان - فى إشارة إلى فداء أعظم تم للإنسان «لا بأشياء تفنى.... بل بدم كريم كما من حمل بلا عيب ولا دنس دم المسيح» (١بط ١ : ١٨، ١٩).

هذا وإن كانت هناك مذنوبية حسابية على الإنسان فى نظر الله كما رأينا، فإنه له المجد - فى صلاحه المطلق، وعلى أساس موت المسيح وقيامته - قدم للإنسان براً حسابياً مجانياً.. لذلك فإن كنا فى الآيات السابقة التى تتكلم عن المذنوبية الحسابية، والمقتبسة من «رومية ٥» أغفلنا مؤقتاً كتابة الجزء الثانى من كل آية والذى يتكلم عن البر الحسابى.. لذلك نعيد كتابتها الآن بجزءيها.. جزء المذنوبية الحسابية.. وجزء البر الحسابى: «لأنه كما **بمعصية الواحد** جعل **الكثيرون خطاة** (حسابياً) هكذا أيضاً **بإطاعة الواحد** سيجعل **الكثيرون أبراراً** (حسابياً أيضاً) (رو ٥ : ١٩).. وأيضاً «فإذاً كما **بخطية واحدة** صار الحكم إلى **جميع الناس** للدينونة هكذا **ببرّ واحد** صارت **الهبة إلى جميع الناس لتبرير الحياة**» (رو ٥ : ١٨).. وأيضاً «لأنه إن كان **بخطية واحد مات الكثيرون** فبالأولى كثيرا نعمة الله **والعطية بالنعمة التى بالإنسان الواحد يسوع المسيح قد ازدادت للكثيرين**» (رو ٥ : ١٥).. «لأنه إن كان **بخطية الواحد قد ملك الموت بالواحد**. فبالأولى كثيرا **الذين ينالون فيض النعمة وعطية البر سيملكون فى الحياة بالواحد يسوع المسيح**» (رو ٥ : ١٧).. وأخيراً.. كما فى آدم **يموت الجميع** (جميع الناس) هكذا **فى المسيح سيحيا الجميع** (١كو ١٥ : ٢٢).. أى جميع «الذين للمسيح» (١كو ١٥ : ٢٣).

وهكذا، أيها العزيز نجد أن الله لم يحسب لنا الخطية مع كوننا فى معطف آدم مذنبيين حسابيا.. كما أنه أيضاً لم يحسب لنا الخطية مع كوننا آتيناها فعلاً، فأمسينا بذلك مذنبيين فعليا.. بل **حسب لنا البر** مع كوننا أبعد ما يكون عنه.. ذلك لأنه ألبسنا معطفاً جديداً.. «وكسانا رداء البر» (إش ٦١ : ١٠).. الحلة الأولى (لو ١٥ : ٢٢).. المسيح نفسه (١ كو ١ : ٣٠).. ولم يكن هذا الرداء ليتوفر إلا بعد عملية ذبح.. كما حدث مع آدم.. إذ «صنع الرب الإله لآدم وامرأته أقمصة من جلد وألبسهما (تك ٣ : ٢١).. وهو جلد حيوان مذبوح.. وذلك بعد أن ثبت فشلَ أوراق التين (وتمثل أعمال أيديهما) (تك ٣ : ٧) فى تغطية عريهما وستر حالتهما (تك ٣ : ١٠).. وهو كما رأينا ما حدث لنا من كساء بعد بموت المسيح وقيامته.

كذلك هابيل قدم لله ذبيحة «فشُهد **له** أنه بار».. مع أنه خاطىء بالطبيعة، وألصق الكل بمعطف أبيه آدم.. لماذا؟.. يذكر الرسول السبب قائلاً: «إذ شهد الله **لقرابينه**».. فشهادة الله لقرابينه انسحبت عليه.. وعلى أساس قبول الله لذبيحته ـ التى نستنتج أنها كانت محرقة ـ صار هابيل مقبولاً فيها.. مكسواً بكفايتها.. مشهوداً له من الله بأنه بار.. لا لذاته هو، بل لأن ذبيحتـه كان مشـهوداً لها.. لأنه إذا كان الله يقبل المحرقة فهو أيضاً يرضى على مقدمها فى كمال كفايتها (لا ١ : ٤)، ويُسرّ به بنفس درجة سروره برائحتها (لا ١ : ٩).

وجلد المحرقة قديما يحدثنا عن ذلك.. فقدِ كانت المحرقة تُوقد بتمامها للـه (لا ١ : ٨، ٩).. ما عدا جلدها، الذى كان يُسلخ ولا يقدم لله (لا ١ : ٦).. لماذا؟.. ليذخر للبشر، مشيراً إلى الرداء الذى يرتديه الإنسان فيقبل به أمام الله كبارّ فى نفس درجة برّ المحرقة.. الأمر الذى تحقق كاملاً فى المحرقة الحقيقية ربنا يسوع المسيح الذي فى كمال عمله، وكفاية إشباعه لقلب الله، وكثافة تنسيمه رائحة السرور له، يرى الإنسان (أىّ إنسان) كاملاً وباراً ومشبعاً لقلب الله أيضا طالما ارتدى المسيح.. صائراً فى معطف المسيح لا معطف آدم، مقبولاً أمام الله ـ كقبول المسيح نفسه ـ إلى أبد الآبدين.

وفى النهاية نمر على «محسوب» فى أحلامه لنلقى عليه نظرة وداع.. فنجده فى السراى وقد اعتراه الانزعاج.. إنه يشاهد أفندينا لأول مرة غاضباً.. يرتبك ويغتم.. فسلامه مرتبط برضا أفندينا.. فإن غضب عظمته اكفهرت سماء «محسوب».. والذى حدث أن الوالى فى تجواله بين المدعوين اشتبك فى حوار ساخن مع أحد الحاضرين.. وكان يعنفه على ما يرتديه من ملابس مزركشة ومحلاة بأشياء براقة، رآها «محسوب» لا تفرق عما يرتديه هو.. الخديوى يزأر متجهما:

● ما هذه الملابس؟.

فيجيبه ذلك الشخص:

❑ صنعتها بيدىّ، وحياة عظمتك، من أفخر الأقمشة وأغلاها.

● وما هذا الذى يبرق فيها؟.

❑ لزوم الرونق يا مولاى.

● بديلاً عن الرتبة.. أليس كذلك؟.. أتظنك تخدعنى؟.

❑ بل أردت نوال رضاك بظهورى بهذه الملابس وحليها.. لقد تكلفت مالاً وفيراً فى تدبير خاماتها، وتكبدت تعباً كثيراً فى تصنيعها وارتدائها.

● وكيف دخلت إلى هنا؟.

سكت هذا الشخص ولم يجب.

يزداد انزعاج «محسوب» لاستمرار غضب أفندينا.. ويتردد بين التقدم للتشفع فى هذا الشخص، وبين الخوف من أن تدور الدائرة عليه يوماً فيقع تحت طائلة غضب أفندينا.. يراقبه أحد النظار.. يحس بمحنته.. يقترب منه ويسأله:

● مالك؟.

❑ خائف.

● م؟.

❑ من غضب أفندينا.. ظننته لطيفاً.

● اللطف لحاملي الرتبة.

❑ وهذا الشخص؟.

● لا يحمل رتبة.

❑ ولكن ملابسه تشبه ملابسي في كل شيء؟.

● ما عدا الرتبة.. فرتبته مزيفة، لأنها من صنع يديه، لا من نعم أفندينا.. ولذلك فمع وجاهة ملابسه وبريقها وارتفاع تكلفتها وغلو ثمنها، فلأنها تخلو من الرتبة، فهي لا تساوي شيئاً في نظر أفندينا.

❑ ألا يمكن لأحدنا أن يتشفع فيه؟.

● كلا.. فكلانا يحتاج إلى من يشفع فيه يوماً.. فلا نصلح كشفعاء.. لكن أفندينا لا يرد طلبا لابنه، لذلك فولي العهد هو الشفيع الوحيد.. كما أنه لا يتشفع إلا في أصحاب الرتب إن هم أخطأوا.. أما المزوّرون فمكانهم في الخارج.

❑ مسكين هذا الشخص.. لم يمنحه أحدٌ رتبةً.

● من قال هذا؟.. إنه بلا عذر.

❑ كيف؟.

● أفندينا دعاه كما دعاك.. وعرض عليه الرتبة كما عرضها عليك.. لكنه رفضها.

❑ أيوجد حقاً من يرفض النعمة؟.

● كثيرون.

❑ لماذا؟!

● من أجل قساوتهم أو اكتفائهم بما يرتدون مما صنعته أيديهم.. لذلك فهم يذخرون لأنفسهم غضباً في يوم كهذا.. ألا ترى ما يحدث الآن؟.

❑ ما هو؟.

● انظر.

يلتفت «محسوب» تجاه المشادة، فيجد الوالى ينادى على الحراس ليمسكوا هذا الشخص صارخاً:

● خذوه واربطوه من يديه ورجليه واطرحوه فى السرداب السفلى، حيث لا تشرق شمس ولا ينبلج نور.

يتضاءل «محسوب» فى نفسه.. وتهبط روحه فى جوفه.. ويجف لعابه.. ويتصبب عرقه.. ويسأل الناظر فى رعب شديد:

❑ أيمكن أن يأتى يوم يحدث فيه مثل هذا معى؟.

● مستحيل.

❑ لماذا؟.

● لأنك صاحب رتبة.

❑ وإن سحبها أفندينا كما أعطاها؟.

● هيهات.. فهبات أفندينا بلا ندامة.. فهو مع صرامته لا يسحب عطاياه.. فكلام الملوك لا يرد.

❑ وإن أسأت التصرف؟.

● لذلك علاجه.. دون سحب الرتبة.. ودون العودة لطرحك فى سرداب السجن.

يتعجب «محسوب» من تنوع صفات أفندينا.. ويمضى مع الناظر ليشاهد منظراً آخر عجيباً.. ففى أحد أركان البلاط يجد قوماً من المدعوين يسترحمون ولى النعم صارخين ضارعين: «يا مولى ارحـم.. يا مولى ارحـم.. ارحمنـا يا مولى».. ويكررون ذلك بلغتين مراتٍ بلا عدد، فى لحن جنائزى.. يسأل «محسوب» الناظر:

☐ وهؤلاء مالهم؟.

● يظنون أن عقوبة السجن لا تزال قائمة على رقابهم.. ويجهلون أن الخديوى قد عفا عنهم.. ولا يدركون الرتبة التى حصلوا عليها.. لذلك ـ وبعد حصولهم على الرتبة، وبدلاً من أن ينشدوا مع التخت «عشنا وشفنا».. مرددين أعذب الألحان فرحاً واستبشاراً ـ تراهم يهدرون بلحنهم الحزين هذا طوال الوقت.

☐ ولماذا بلغتين؟.

● لغتهم القومية ولغتهم الرسمية.

☐ عجيب!!.. أيظلون هكذا؟.

● دُرِجوا على هذا.. ولا يقدرون تغيير ما شبُّوا عليه.

☐ لعلهم سعداء بعملهم هذا؟.

● تعيس من لا يدرك مركزه.

☐ ألا يوجد ناظر مثلك يرشدهم؟.

● مع إخلاصهم.. يرفضون كل نصيحة.

☐ وموقف أفندينا منهم؟.

● ينظر إلى درجة ولائهم وإخلاصهم.

وفى تجواله مع الناظر يمر «محسوب» على ركن آخر حيث يرى بعض من فيه من المدعوين متكأكئين.. فيسأل الناظر:

☐ وهؤلاء ما لهم؟.

● ينكبون على الخطوط الهمايونية.

☐ لا أفهم شيئاً.

● إنهم منهمكون فى فك هذه الخطوط.

❑ وما هى الخطوط الهمايونية أصلاً؟.

● ألا تعرف؟.. إنها أحد أنواع خطوط الكتابة.. وبدلاً من كتابة الكلمات فيها من اليمين إلى اليسار بطول السطر مثل باقى الخطوط.. فإن كلمات كل جملة فى هذه الخطوط الهمايونية تكتب وترصّ فوق بعضها حتى تشكل فى النهاية هيئة طائر الهمايون.. وتسمى الجملة بهذا الشكل «طغراء»(*).

❑ وما هو طائر الهمايون أساساً؟.

● إنه الطائر السلطانى.. لذلك فإن جميع الفرمانات الشاهانية والقرارات السلطانية يوشح أعلاها وجزء من مضمونها بهذا النوع من الخط.. حتى أطلق اسم الخط الهمايونى على كل فرمان سلطانى.

❑ وهل هؤلاء منهمكون فى دراسة المكاتيب السلطانية الموشحة بالخط الهمايونى؟.

● تماماً.. يجاهدون فى فك هذا الخط وقراءته.

❑ لعلهم بذلك أسعد المدعوين؟.

● كثيرون منهم غير سعداء.

❑ لماذا؟.

● لأن هؤلاء الكثيرين معتدون بذواتهم، ويحتقرون الآخرين، وينتفخون على من هو ضعيف فى فك الخط الهمايونى، ولو كان من المدعوين،فالعلم ينفخ.. بل يظنون أن تفسير مكاتيب ساكن الجنان هو وقف عليهم وحدهم.. وربما دخلوا فى مناقشات ومشاحنات مع بعضهم ومع غيرهم بسبب الاختلاف فى فك الخط.

❑ تقصد أن هذا يقلل من سعادتهم؟.

● ليس سعيداً من ارتفع فوق الآخرين.

(*) مثل المصكوكة على عملة الخمسة قروش المعدنية إصدار ١٩٨٤.

❑ وموقف أفندينا منهم؟.

● أفندينا ـ كما قلت لك ـ يضع درجة الولاء والاخلاص فى المرتبة الأولى.

يواصل «محسوب» تجواله مع الناظر إلى ركن آخر حيث يجد بعض من فيه من المدعوين منطرحين.. فيسأل الناظر:

❑ وهؤلاء مالهم؟.

● ينتظرون مرور طائر الهمايون فوقهم.

❑ لماذا؟.

● يقولون أن من وقع عليه منهم ظل هذا الطائر، طفق يأتى بأقوال وأفعال غير عادية.

❑ عظيم.. إن انتظار الطائر السلطانى والانشغال به شيء رائع.. كما أنه يبعث على السعادة.

● كثيرون منهم غير سعداء.

❑ لماذا؟.

● لأن هؤلاء الكثيرين لا ينشغلون بالطائر قدر ما ينشغلون بتأثيره على أنفسهم.. ولا ينتظرونه هو قدر ما ينتظرون عمله فيهم.

❑ تقصد أن هذا يقلل من سعادتهم؟.

● ليس سعيداً من كانت ذاته هى محور تفكيره، يلف حولها ويدور فى فلكها.

❑ وأفندينا.. لعله أيضاً ينظر إلى درجة ولائهم؟.

● تماماً.

طال التجوال.. فالأركان بلا حصر.. وكل ركن له ما يتفرد به عن باقى الأركان.. اكتأب «محسوب».. إذ انشغل بالأركان والمدعوين، فغاب بهاء أفندينا

عن ناظريه.. لاحظ الناظر ذلك.. وأدرك احتياج محسوب إلى خلوة.. فانسحب متوارياً.

ابتعد الناظر.. وهدأ «محسوب».. فابتدأ من جديد يهيم فى البلاط.. ولكن هذه المرة ناسياً المدعوين واختلافاتهم متيماً فقط بالحضرة السنية.. عاشقاً فقط معرفة المزيد عن بهاء أفندينا.

تمر الأيام ولا ينفك «محسوب» هائماً.. فأمامه الكثير والكثير جداً ليحيط علماً بأعمال وصفات أفندينا.. «الأربعون يوماً» توشك أن تنتهى.. لكن هذا لا يزعج «محسوب» طالما أنه سيظل هائماً ما بقى له من أيام.. مشغولاً بالحضرة السنية.. طالبا معرفة المزيد.. فإن انتهت رحلة هيامه، مضى من هلامية أحلامه فى بلاط الخديوى، إلى يقينية واقعه فى بلاط أسمى وأسنى.

«ذاك أفـــــضـــــل جـــــداً»

المراجـع

عرس ابن الملك	من أمثال الرب يسوع (مت ٢٢: ١ - ١٤)
تفسير إنجيل متى	بنيامين بنكرتن
شرح موجز للعبرانيين	هاملتون سميث
تفسير سفر الرؤيا	ناشد حنا
تفسير سفر إشعياء	ناشد حنا
بذلة الأسير	نجيب محفوظ
تاريخ الدولة العثمانية	محمد فريد
تاريخ الخط العربى	طاهر بن الكردى
التواريخ الهجرية	محمد مختار باشا
إسماعيل وخمسون سنة على وفاته	عبد الرازق السهنورى بك
صبح الأعشى فى كتابة الإنشا حـ٣ وحـ١٣	القلقشندى
إرشادات تحرير المستندات	
مختار القاموس	الطاهر الزاوى
المعجم الوسيط	مجمع اللغة العربية
J. N. Darby	Synopsis Of The Bible

التبرير

«فإذ قد تبررنا بالإيمان لنا سلام مع الله». (رو ٥: ١)

حينما خلق الله الإنسان ووضعه في جنة عدن، كان هناك سلام بين الله والإنسان. لكن الخطية دخلت وكسرت هذا السلام. وعدالة الله تستوجب إدانته للخطية، لكن العجب العجاب هي أنه في محبته لنا أرسل ابنه ليحمل الدينونة بدلاً منا. إنه الله نفسه الذي صنع السلام، إذ ليس لدى الإنسان شيء يقدمه لله ليكفر عن خطيته. فلا شيء سوى الذبيحة البريئة التي بلا خطية ولا لوم ـ **حمل الله** ـ الذي يصلح لذلك. إن كل مذنوبية الإنسان قد احتملها المسيح فوق الصليب. وكل ما يقابلها من مطاليب لعدالة الله قد واجهها نيابة عنا محتملاً العقوبة كما هي في تقدير الله. وما صنعه على الصليب قوبل برضاء الله التام، وتم صنع السلام الكامل، لذلك فهو سلام أبدي.

وفي اللحظة التي يأتي فيها الخاطيء إلى الله معترفاً بكل ذنوبه ويستريح بالإيمان على ذبيحة الرب يسوع الكاملة، يحسب الله له قيمتها الكاملة، وعلى هذا الأساس **يعتبره الله باراً**. ويعلن أنه تبرر وعلى ذلك يكون له سلام مع الله ويحصل على **مقام سامٍ** أمامه عن طريق ذبيحة الرب يسوع المسيح. وبالنعمة يصير له القبول إلى الأبد على أساس هذه الذبيحة الكاملة التي أبعدت كل خطاياه مرة واحدة وإلى الأبد. لذلك فإن مقامه بالنعمة كامل وأبدي ولا تستطيع الخطية أن تدخل في حياة المؤمن (تحسب عليه) حيث سبق أن تم التكفير عنها بالكامل بدم الرب يسوع، لذلك فإن مقام المؤمن أمام الله لا يمكن أن يتغير، فهو يقف مقبولاً بالنعمة إلى الأبد على أساس ثابت وهو الذبيحة الكفارية الكاملة للرب يسوع المسيح.

ترجمة **نجاتي أبادير** من The lord is near

فى هذا العدد:

- الغفران والتبرير.
- المذنوبية الحسابية والمذنوبية الفعلية.
- المذنوبية الحسابية فى أدب «نجيب محفوظ».
- البر الحسابى.
- الخطوط الهمايونية.
- «محسوب» وأحلامه.

بمشيئة الرب العدد القادم

«ميمى بك»

وفيه تقرأ:

- الصراع الداخلى لدى من تبرر حسابيا، ويريد أن يعيش باراً عمليا.
- الأسلوب الخاطىء المتبع خلال هذا الصراع.

سلسلة ملء الجباب

تطلب هذه السلسلة من

مكتبة كنيسة الأخوة

٧ شارع الدرى ـ ميدان الجيزة

ومن المكتبات المسيحية